بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

النص القرآني والمقاصد الشرعية

من التقعيد الأصولي إلى الهداية القرآنية

مداخلة مقدمة إلى المؤتمر الدولي:

التقصيد القرآني الجديد والمقاربات الحديثة

في الدراسات القرآنية المعاصرة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

كلية أصول الدين

قسم الكتاب والسنة

إعداد:

الأستاذ الدكتور عمر حيدوسي

أستاذ التعليم العالي في الكتاب والسنة وأصوله

hidoussi.72@gmail.com

الباحثة نسيمة بروال

طالبة دكتوراه تخصص الفقه المقارن

nassimaberoual05dz@gmail.com

كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة 1

محرم 1444هـ / أوت 2022م

مهاد:

تنطلق هذه المداخلة من استشكال العلاقة بين نصوص القرآن الكريم ومقاصد الشريعة كأداة معرفية ومنهجية يستحضرها الاجتهاد الأصولي كقواعد تشريعية في عملية استمداد الأحكام الشرعية من مظانها النصية، وكيف تدرج الاهتمام والاستحضار للمقاصد من مستويات التقعيد الأصولي التشريعي إلى التوظيف الهدائي القرآني. وتستحضر تلك العلاقة التطور التاريخي لحضور المقاصد في عملية التعامل الواسعة مع النص القرآني، التي بدأت كممارسة عملية في عصر الصحابة والسلف، ثم غلب عليها نسبيا التعامل اللغوي مع مفردات القرآن وغريبه ومجازه ومشكله، إلى أن طغت النظرة الفقهية المتمحورة حول الحكم الشرعي المستمد من النص، وتطورت مع تنامي التقعيد الأصولي وقواعده اللغوية والتشريعية، ليؤسس لمنهجية شرعية جديدة تستحضر المقاصد كأداة ثم ثقافة أصولية ثم حقل معرفي متراكم يرتقي لمجال علمي مستقل.

وقد تطور هذا المجال المقاصدي في ظل ثنائية حظي شطرها الأول بجل الاهتمام والتنظير على حساب الثاني الأقل نموا وانضباطا، ونقصد هنا ثنائية مقاصد الشارع ومقاصد المكلف، فقد انشغل العقل الأصولي بالشق الأول تنظيرا وتطبيقا وتدوينا، بينما لا تزال مقاصد المكلفين مشوبة بكثير من الغموض والقصور الناتج عن تأخر ومحدودية الانفتاح التشريعي على الواقع الإنساني ومعطياته المتشابكة، في ظل التراجع الحضاري للأمة الإسلامية وعلومها. هذا على مستوى مقاصد الحكم، أما مقاصد النص، فبدأ الاهتمام التنظيري والتدويني بها متأخرا نسبيا، في ظل ما يعرف بمقاصد القرآن والهداية القرآنية. فقد تنامى الاهتمام والبحث عن موضوعات القرآن ومحاوره ومقاصده إجمالا، وكذا بمقاصد السور القرآنية، في ظل التفسير الموضوعي الكشفي أو ما عرف بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.

ويمكن استجلاء المقاصد القرآنية على عدة مستويات تكشيفية: مستوى هدائي كلي ثم جزئي تفصيلي، من مقاصد السياق السوري إلى مقاصد السورة الواحدة ثم المقطع والآية فالكلمة القرآنية. ويستعان في ذلك بجملة أدوات وآليات معرفية ومنهجية متدرجة، منها اللغوي والقرائي، والسياقي المناسباتي، والتفسيري المبثوث في كتب التفسير ومقدماتها وافتتاحيات السور، مع استحضار جملة معارف قرآنية متوارثة ومعارف قديمة وحديثة إنسانية وكونية.

في ظل هذا الاستهداء القرآني المقاصدي المتكامل، تفتح آفاق معرفية ومنهجية واعدة لتحديث وتجديد وترشيد الدرس القرآني والتفسيري من جهة والدرس المقاصدي من جهة ثانية، من منظوره الأصولي التقعيدي المتداول، إلى آفاقه الهدائية القرآنية المأمولة.

تأصيلا وتفصيلا لكل ما سبق، اعتمدت هذه المداخلة منهجا وصفيا تحليليا، يستثمر المادة المعرفية المبثوثة في الدراسات الأصولية عامة، والمقاصدية خاصة، إلى جانب الدراسات القرآنية، استكمالا لشقي الموضوع المطروق. وقد أفادت الدراسة من المؤلفات القديمة والحديثة، خاصة المقالات العلمية المحكمة، التي تطرق فيها مثل هاته الموضوعات البينية التأسيسية.

ولم تلزم الدراسة نفسها بالاستقراء المستوعب لكل التفاصيل الجزئية في كل مسألة، تجنبا للتطويل ومراعاة للمقام، وتركيزا على ما يخدم الموضوع ويتماشى مع مقاربته وسياقه.

وقد اعتمدت المداخلة مختلف التقنيات المنهجية المتعارف عليها في البحث العلمي، من حيث الهيكلة والصياغة والتوثيق. مع خيار الاستغناء عن إيراد بيانات المصادر والمراجع في المتن عند أول ذكر لها في البحث، مراعاة لطبيعة المداخلات العلمية وحجمها، مع الاكتفاء بإيراد البيانات كاملة في قائمة المراجع آخر المداخلة.

محاور المداخلة:

النص القرآني والمقاصد الشرعية من التقعيد الأصولي إلى الهداية القرآنية

1. **مدخل مفهومي حول المصطلحات المفتاحية للموضوع:**

- النص القرآني
- الهداية القرآنية
- التقعيد الأصولي
- المقاصد الشرعية.

2. **التطور التاريخي لحضور المقاصد في عملية التعامل مع النص القرآني.**

- التعامل العملي مع النص
- التعامل اللغوي مع النص
- التعامل التفسيري مع النص
- التعامل الحكمي الفقهي مع النص
- التعامل الأصولي الاجتهادي مع النص
- التعامل المقصدي مع النص

3. **تطور الاهتمام المقاصدي ومستويات الإعمال**

- المقاصد في ظل المنظور الشرعي: مقاصد الشريعة في المستوى التشريعي "مقاصد الشارع"
- مقاصد الشريعة في المستوى التكليفي "مقاصد المكلف" وأفق الانفتاح على الواقع الإنساني
- المقاصد الشرعية والعودة إلى النص القرآني .. من المقاصدية إلى القرآنية
- مقاصد القرآن وآفاق التقصيد القرآني: الموضوعات والمحاور القرآنية
- التفسير الموضوعي ومنهجية التقصيد القرآني

4. **مستويات المقاصد القرآنية**

- المستوى الكلي: المقاصد القرآنية العامة – الهداية الإجمالية
- المستوى الجزئي: الهداية التفصيلية
- مقاصد السياق القرآني: السياق السوري النزولي والمصحفي
- مقاصد السورة القرآنية: الوحدة الموضوعية للسورة والهداية الكشفية
- مقاصد المقطع القرآني: المقطع النظمي والموضوعي
- مقاصد الآية القرآنية: التناول اللغوي - الاستثمار التشريعي – التوظيف الهدائي
- مقاصد المفردة القرآنية: الكلمة والمصطلح

5. **الهداية القرآنية وآفاق التقصيد**

- حقيقة التقصيد القرآني.
- مجالات التقصيد وحدوده.
- توسيع دوائر توظيف المقاصد في الحياة خارج حدود الدائرة الفقهية الأصولية.
- التركيز على المقاصد الغائية الكلية قرآنيا ومقاصديا.
- آليات الاهتداء المقاصدي بالنص القرآني.
- مرتكزات التقصيد القرآني وضوابطه.

نص المداخلة:

النص القرآني والمقاصد الشرعية من التقعيد الأصولي إلى الهداية القرآنية

لعل أحد أكبر المشكلات التي تعاني منها الدراسات الإسلامية منذ آماد طويلة، قضية الانفصال والتشتت غير المبرر، بين مجالات المعرفة الإسلامية في مستوياتها الكلية الثلاث؛ عقديا تصوريا، وشرعيا عمليا، وخلقيا قيميا، على المستويات التأصيلية والتفريعية، والأخطر ابتعاد ذلك نسبيا عن الهدي المرجعي لنصوص ومعارف الوحي الإلهي قرآنا وسنة. كل ذلك باسم التخصص والتدقيق ولغة العلم والمنهج.

ولذلك صار معتادا وجود دراسات شرعية؛ فقهية وأصولية ومقاصدية خالية من النصوص القرآنية والنقول التفسيرية والمعارف القرآنية المتداولة في علوم القرآن وأصول التفسير ومناهجه. وبالمقابل قد لا تكاد تجد في كثير من الدراسات القرآنية والحديثية توظيفا لدراسات وقضايا وقواعد ومصطلحات أصولية ومقاصدية، وهكذا...

وبالعودة لمنهج صالح السلف –رضوان الله عليهم- نجد الأمر على خلاف ما سبق تماما، فالمعرفة عندهم واحدة موحدة، محورها النص القرآني والنبوي، ومادتها مبثوثة في مختلف الهدايات المعرفية التي تطرحها آفاق النص المدروس، كل ذلك تحت مسمى "الفقه" بمعناه اللغوي الواسع: الإدراك العميق، بعيدا عن مدلوله الاصطلاحي المضيق المتداول في الثقافة الشرعية المتوارثة.

ذلك الفقه بمعناه الشامل لكل صور المعارف هو ما دعا إلى النفير إليه القرآن الكريم: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾(التوبة: 122) وهو الفقه الذي تضمنه دعاء النبي –صلى الله عليه وسلم- لابن عباس –رضي الله عنه-: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[1]

في ظل هذه الإشكالية يأتي سياق هذه الدراسة، في محاولة لرأب الصدع العرفي والمنهجي بين النص القرآني من جهة، والمقاصد الشرعية من جهة ثانية؛ باعتبار الأول (النص) الإطار والمصدر المرجعي والمستند التأسيسي لأي اجتهاد، وباعتبار الثاني (المقاصد) منتهى الوعي المنهجي والطرح العقلي للفكر الإسلامي عامة والأصولي خاصة في العصر الحديث.

وموافقة لطبيعة طرفي الثنائية (النص/المقاصد) فقد اختارت المداخلة توظيف مصطلحي (الهداية/التقعيد) على الترتيب؛ فالهداية طبيعة النص القرآني ووظيفته، فالقرآن إجمالا ونصوصه تفصيلا جاءت هدى وهداية للعالمين. والمقاصد باعتبارها قواعد أصولية تشريعية، فإن طبيعتها التقعيد والتأصيل والتأطير النظري.

تبعا لذلك، جاءت هذه المداخلة بعنوان: **النص القرآني والمقاصد الشرعية من التقعيد الأصولي إلى الهداية القرآنية.** وقد بدأت الدراسة بمدخل مفهومي حول الكلمات المفتاحية للعنوان، ثم تتبعت التطور التاريخي لحضور المقاصد في عملية التعامل مع النص القرآني، عمليا ولغويا وتفسيريا وفقهيا وأصوليا ومقصديا. تلا ذلك تتبع لتطور الاهتمام بالمقاصد ومستويات إعمالها تشريعيا وتكليفيا وقرآنيا، وصولا إلى التقصيد القرآني ومستوياته الكلية والجزئية، وانتهاء برصد أولي لآليات الاهتداء المقاصدي بالنصوص شكليا وتاريخيا وتفسيريا ومعرفيا. واختتمت المداخلة بمحاولة فتح بعض آفاق التقصيد القرآني.

1- حديث صحيح أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب والألباني في الطحاوية والسلسلة الصحيحة.

1. مدخل مفهومي حول المصطلحات المفتاحية للموضوع:

بعد البيان المجمل لماهية العنوان المدروس، نقف الآن وقفة تفصيلية مع الكلمات المفتاحية للعنوان، دون كبير تطويل مع التعريفات والقضايا اللغوية والاصطلاحية.

- **النص القرآني**

النص أصله اللغوي وصول الشيء إلى غايته، لم يرد لفظه في الكتاب، وفي الحديث: "فإذا وجد فجوة نصّ"[2] أي رفع السير إلى غايته. ويشتمل على ثلاثة شروط: أن يكون كلاما لأن أدلة العقول لا تسمى نصوصا. وألا يتناول إلا ما هو نص فيه أي ما يظهر منه. وأن تكون إفادته لما يفيده ظاهرا غير مجمل. [3]

وقد تفاوتت عبارات الأصوليين في بيان مدلول النص، بين لفظ القرآن مطلقا، وبين كونه دليلا، وكونه دالا على معنى مفهوم، وزاد بعضهم وحدة المعنى وقطعيته بلا احتمال، وذلك ما تجلى –على الترتيب- في مثل هاته التعريفات: "النص بالإطلاق العام هو اللفظ الوارد في القرآن والسنة بغض النظر عن دلالته".[4] "النص هو اللفظ الوارد في القرآن والسنة المستدل به على حكم الأشياء"[5]. "النص كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة"[6]. "النص هو اللفظ الذي لا يمكن استعماله في غير معناه الواحد"[7]. "النص ذلك اللفظ الذي لا يتطرق إليه احتمال أصلا"[8]. فإذا تطرق إليه احتمال معضد بدليل مقبول فليس نصا. [9]

والخلاصة أن المقصود في هذا السياق لفظ النص ذاته لا دلالته وقطعيته، فلذلك سنعتمد قول من قال أن النص الشرعي هو القول الإلهي المنزل بيانا محكما على النبي الكريم، المثبت بالرسم العثماني، الموافق للغة العربية ولو بوجه، والمنقول بالتواتر. [10]

والنص بهذا المعنى هو القرآن ذاته، مجسدا في آحاد نصوصه، وهو بذلك قول ثقيل وخطاب مبين وبلاغ عالمي.[11] وما دام النص ألفاظ القرآن فهو يحمل خصائصه وصفاته، فمجموع النص هو الكتاب، وهو كلية الشريعة وعمدة الملة وينبوع الحكمة وآية الرسالة ونور الأبصار والبصائر. [12]

ومن خصائص النص الشرعي : إلهي المصدر والنسبة، التنجيم والتدرج في النزول والورود، الجمع بين الإيجاز والإعجاز في ألفاظه ومعانيه، غلبة المرونة والسعة على مفرداته وتراكيبه. [13]

وللنص الشرعي خصائص منها: الحفظ، الفاعلية، الواقعية، النظم المتناسب. وهو نظام دلالي منتج للمعاني والقواعد. ومظهر دلالي للعمل العقلي الاجتهادي التدبري الإنساني. [14]

2- حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه من حديث أسامة بن زيد في حجة الوداع.

3- العضراوي عبد الرحمن، النص الشرعي وبناء مفهوم التأويل، ص2. ويراجع أبو الحسن البصري، المعتمد، 95/1.

4- سانو قطب مصطفى، الاجتهاد في الفكر الأصولي، ص11.

5- ابن حزم، الإحكام، 564/8

6- البخاري، كشف الأسرار، 172/1.

7- الرازي، المحصول، 462/1.

8- الغزالي، المستصفى، 384/1.

9- سانو قطب مصطفى، الاجتهاد في الفكر الأصولي، ص13.

10- العضراوي عبد الرحمن، النص الشرعي وبناء مفهوم التأويل، ص5.

11- العضراوي عبد الرحمن، النص الشرعي وبناء مفهوم التأويل، ص5.

12- الشاطبي أبو إسحاق، الموافقات، 144/4.

13- سانو قطب مصطفى، الاجتهاد في الفكر الأصولي، ص59.

14- العضراوي عبد الرحمن، النص الشرعي وبناء مفهوم التأويل، ص4.

وله وظيفتان: وظيفة عطائية لكلماته التي لا تنفد، ووظيفته تأثيرية. وهي وظائف تميزه وتنشئ حركية لدى المتلقي في فهم علاقته بالكون وبالواقع الإنساني، ثم الاسترشاد بها في صياغة تاريخه وبناء حضارته. [15]

والنص مركز الخطاب الإسلامي والقاعدة الأساس في صحة المواقف والمعتقدات ومدى سلامتها، وهو أساس بناء الحضارة، إذ لا حضارة بلا نص يقوم عليه كيانها ويحفظ به ميراثها. [16]

والاجتهاد في النص هو تصد للظن الموجود فيه، وهو ثلاثة أنواع؛ اجتهاد في ثبوت النص (الورود) واجتهاد في فهم النص (الدلالة) واجتهاد في تطبيق النص (التنزيل) وإن كان في الأولين نظر فإن الأخير لا ينقطع على قيام الساعة. [17]

• الهداية القرآنية

يدور لفظ الهداية لغويا واصطلاحيا حول جملة معان منها: الإرشاد والدعوة، والدلالة والبيان، والتعريف والإعلام[18]، ومنها كذلك إراءة الطريق والأخذ باليد والإيصال للمقصد. [19]

ودقق ابن فارس معنى الهداية في كونه يدل على التقدم للإرشاد مع بعثه بلطف. [20]

والهداية من منظور روحاني عند الخلوتي "إزالة المتوهم ليظهر المتحقق"[21]

وللهداية طريقان؛ طريق عقلي برهاني يروم طلب المعرفة بالدليل والحجة، وطريق قلبي وجداني يبغي رياضة النفس وتصفية الباطن. [22]

وقد تعددت تقسيمات أنواع الهداية، وخلاصتها أنها نوعان: هداية أخروية وهداية دنيوية، والدنيوية تكوينية عامة وتكليفية و توفيقية تأييدية. [23]

وتجلية الهدايات القرآنية من أهم مقاصد التفسير.. فالهداية حقيقة القرآن وطبيعته وكيانه وماهيته.. والتفسير الذي نحتاجه في عصرنا هو التفسير الذي تتجه همة صاحبه إلى الكشف عن معالم الهداية القرآنية ومساعدة الناس على تلمس بهائه وضيائه. [24]

• التقعيد الأصولي

التقعيد في اللغة يدل على وضع وصياغة القواعد للعمل بموجبها. [25]والتقعيد من القاعدة، وبناء مفهوم التقعيد راجع لمدلول القواعد: مناهج ومعايير استنباط، قضايا كلية وأدلة إجمالية يتوصل بها لاستنباط الأحكام، أحكام كلية لاستنباط الأحكام، قواعد لغوية ضابط للاجتهاد والاستنباط، أصول كلية للاستنباط. [26]

وقد استخدم بنفس المعنى في الدراسات الشرعية، فقهيا وأصوليا ومقاصديا، فانتشر بذلك مصطلح التقعيد منسوبا للمجالات الثلاث:

15- العضراوي عبد الرحمن، النص الشرعي وبناء مفهوم التأويل، ص1.

16- شطاب الطيب، دور المصطلح في فهم النص القرآني، ص1.

17- سانو قطب مصطفى، الاجتهاد في الفكر الأصولي، ص41.

18- السامرائي والمقدمي، الهداية أهميتها وأنواعها، ص3.

19- محمد صنقور، الهداي في القرآن الكريم،

20- طه عابدين وآخرون، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية،

21- البرسوي الخلوتي إسماعيل حقي، روح البيان، 376/7.

22- السامرائي والمقدمي، الهداية أهميتها وأنواعها، ص 7-9.

23- ينظر مثلا السامرائي والمقدمي، الهداية أهميتها وأنواعها، ص7

24- مكاوي إدريس، مقاصد تفسير النص القرآني، ص43-44.

25- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية، 1841/3.

26- بن الحاج جلول محمد، التقعيد الأصولي وأثره في اختلاف المجتهدين، ص9.

فالتقعيد الفقهي هو صياغة الفقه قواعد وكليات تضبط فروعه وجزئياته.[27] وتعريف الروكي السابق تناقلته المؤلفات وأعادت صياغته، زيادة ونقصانا، ومن تعريفاته: التقعيد الفقهي إنشاء القاعدة الفقهية وتركيبها وإحكام صياغتها.[28]

والتقعيد المقاصدي هو عملية استقراء الأسرار الشرعية وحكمها، وصياغة تلك المعاني في قوالب لفظية مسبوكة، متسمة بالكلية والتجرد والاطراد.[29]

أما التقعيد الأصولي فهو صياغة كليات عامة يتوصل بها إلى استنساخ الأحكام الشرعية الفرعية.[30]

ومنه فإن التقعيد صياغة قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها.[31] وهو عمل علمي صياغي يقوم على استقراء واستنباط الأحكام من جزئيات كثيرة لإثبات كليتها.

- **المقاصد الشرعية.**

المقاصد لغة من القصد، وهو إِتْيَانُ الشَّيْءِ وقَصْدَهُ أَيْ نَحَا نَحْوَهُ.. وَالْقَصْدُ العدل، بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالتَّقْتِيرِ[32] والْقَصْد: اسْتقامة الطَّرِيقَة.[33] وطريق قاصد: سهل قريب. والقصد في الشيء خلاف الإفراط.[34] وبَيْنَنا وبينَ الماءِ لَيْلَةٌ قاصِدَةٌ: هَيِّنَةُ السَّيْرِ.[35] ومن المعاني كذلك السهولة والاستواء والرشد واليسر والقرب.[36]

والمقاصد لفظ قرآني وردت مادته "ق.ص.د." في كتاب الله في سبعة مواضع[37] تدور حول ثلاثة معاني:

1- معاني الإتيان والأمّ والنحو والتوجه والاعتماد والبيان. قال تعالى: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾[38] أي تَبْيِينُه[39]

2- معاني الاستقامة والاستواء والرشد والتوسط والاعتدال والعدل. قال تعالى: ﴿واقصد في مشيك﴾[40] وقال: ﴿فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد﴾[41] وقال: ﴿فمنهم ظالم بنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾[42]، وقال: ﴿منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون﴾[43].

27- الروكي محمد، نظرية التقعيد الفقهي، ص33.

28- سعيدي يحي، التقعيد الفقهي وأثره في الاجتهاد المعاصر، ص34.

29- ليفة ميلود، أثر التقعيد المقاصدي والأصولي في تخريج نوازل كورونا، ص33.

30- ليفة ميلود، أثر التقعيد المقاصدي والأصولي في تخريج نوازل كورونا، ص34.

31- ليفة ميلود، أثر التقعيد المقاصدي والأصولي في تخريج نوازل كورونا، ص33.

32- الرازي زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (المتوفى: 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م،

33- الأزهري محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)،تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م

34- ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار الجيل ، دار لسان العرب، بيروت، 1408هـ. 1988م، ج5، ص 96.

35- الفيروز آبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م،ص: 310.

الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)،تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية،

36- إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.

وينظر قلعجي محمد رواس - قنيبي حامد صادق ، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م، ص 364

37- عبد الباقي محمد فؤاد ، المعهرس لألفاظ القرآن، ص545. المعجم المفهرس لمعاني القرآن، ص946.

38- النحل9

39- الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)،تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية،

40- لقمان19.

41- لقمان32

42- فاطر 23

43- المائدة 66

3- معاني السهولة واليسر والقرب. ومنه قوله تعالى: ﴿لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك﴾[44]

وورد القصد أيضا في الحديث يعني القصد بالقلب، والتوجه في المكان، وَفِي الحَدِيث (القَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا) أَي عَلَيْكُم بالقَصْدِ فِي الأُمور، فِي القَوْل والفِعل، وَهُوَ الوَسَطُ بَين الطَرفَين.[45] وَفِي الحَدِيث: (مَا عالَ مُقْتصِدٌ وَلَا يَعِيل)[46].

وعليه فالقصد لغة يدور حول التوجه المستقيم المعتدل نحو الغاية بسهولة سلك وقوة اعتماد تجعلها قريبة المنال.

أما مقاصد الشريعة اصطلاحا، فإن القدامى لم يذكروا لها تعريفا محددا، بل اكتفوا ببيان حقيقتها، وبعض أقسامها وأمثلتها وأدلتها.

وقد ذكر المعاصرون تعاريف كثيرة متقاربة في المعنى.[47] من أهمها:

تعريف الإمام الشاطبي: ذكر المشتغلون بالمقاصد أنه حتى مبدع المقاصد الشاطبي لم يعرّفها، وأنّ أول من وضع تعريفا حدّيا للمقاصد هو الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور ، وتبعه علال الفاسي.[48]

إلا أن الأستاذ بن زغيبة كشف أن الشاطبي أعطى تعريفا للمقاصد في ثنايا كتابه الفذ: الموافقات، وقد جمع جزأيه وصاغهما في تعريف نسبه للشاطبي فقال:"مقاصد الشريعة هي إقامة مصالح المكلفين الدنيوية والأخروية على نظام يكونون به عبادا لله اختيارا كما هم اضطرارا"[49]

ولعل ذلك ما استنتجه الحسني من ذهن الشاطبي فقال: "إنها كل من المعاني المصلحية المقصودة من شرع الأحكام، والمعاني الدلالية المقصودة من الخطاب، التي تترتب عن تحقق امتثال لأوامر ونواهي الشريعة"[50]

تعريف محمد الطاهر بن عاشور: أورد الشيخ ابن عاشور تعاريف عدة للمقاصد في ثنايا كتابه، إلا أننا اكتفينا هنا بتعريفه الذي قال فيه: المقاصد الشرعية هي "المعاني التي قصد الشارع إلى تحقيقها من وراء تشريعاته وأحكامه"[51]

تعريف علال الفاسي: مقاصد الشريعة هي الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها.[52]

تعريف نور الدين الخادمي:"مقاصد التشريع هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حكما جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية وهي تتجمع ضمن هدف واحد: هو تقرير عبودية الخالق تعالى، وتحقيق مصلحة المخلوق في الدنيا والآخرة"[53]

وبتأمل هذه التعريفات نلحظ كلمات مفتاحية تجمعها، وهي المعاني والغايات والحكم والعلل التي وضعت الشريعة لتحقيقها، ومجالها الشريعة إجمالا وأحكامها تفصيلا، ومدارها تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد، وغايتها تعبيد الخلق لله اختيارا كما هم اضطرارا. ومظانها نصوص الوحي وأحكام الفقه، ومصدرها -الذي تضمره أغلب التعريفات- وهو الله عز وعلا.

ومنه يمكن القول أن مقاصد الشريعة: **هي المعاني والغايات والحكم الملحوظة في نصوص وأحكام الشريعة الإسلامية، لتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد.**

44- التوبة42

45- الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية،

46- قلعجي محمد رواس - قنيبي حامد صادق ،معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م، ص 364)

47- الخادمي نور الدين مختار ، أبحاث في المقاصد، مقاصد التشريع الإسلامي، المفهوم . الضرورة . الضوابط، مؤسسة المعارف بيروت، لبنان، ط2، 1434، 2013، ص12،13.

48- بن زغيبة عز الدين، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، إشراف د. محمد أبو الأجفان، دار الصفوة، القاهرة، مصر، ط1، 1417هـ/1996مص41.

49- بن زغيبة عز الدين، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص43.

50- الحسني، نظرية المقاصد عند ابن عاشور، ص155.

51- ابن عاشور محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي، كوالالمبور: دار الفجر وعمان : دار النفائس، ط1، 1999، ص 183.

52- الفاسي علال ، مقاصد الشريعة ومكارمها، دار الغرب الإسلامي، ط5، 1993م، ص7.

53- الخادمي نور الدين ، الاجتهاد المقاصدي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط : 1426. 2005، ص 38.

ولا حاجة للتأكيد على أهمية المقاصد وضرورتها والحاجة إليها، فالمقاصد أرواح الأعمال[54] وروح القرآن والفقه والتدين والحياة ككل، فلا قرآن ولا فقه ولا تدين ولا حياة بلا مقاصد، ولا مقاصد للشريعة خارج أطر ونصوص الكتاب والسنة، والنظر المقاصدي الحق لا بد أن يكون نصوصيا أكثر من أي مسلك آخر.

2. التطور التاريخي لحضور المقاصد في عملية التعامل مع النص القرآني.

لقد كانت المقاصد حاضرة منذ عصر الوحي والنبوة، ثم الصحابة وصالح السلف، لا كفن مدون أو علم مقعّد أو حتى كمصطلح متداول، بل كروح وقيم يتم من خلالها تعامل المسلم عامة، والعالم خاصة، مع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. داخلة في عموم دعوة الوحي لإعمال النظر والتعقل والتدبر. ولذلك ورد في سياقات قرآنية عديدة صيغ تتضمن: يعقلون، يتفكرون، يتدبرون، أولو الألباب...

ولعل ذلك مدلول اللغة المقاصدية لذلك العصر، تحت مسميات مثل الفقه بمعناه الأوسع، والتأويل بمعناه الأصيل، كما وردا تواليا في دعاء النبي –صلى الله عليه وسلم- لابن عباس –رضي الله عنه- : "اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل". وكذلك كان؛ فقد رزق ابن عباس الفقه في الدين وهو الإدراك العميق الواسع المدلل لنصوص الوحي، كما رزق علم التأويل وهو وعي دلالات الألفاظ ومقاصد النصوص وغايات وعلل الأحكام والأمور. أي أن ابن عباس جمع بين وعيين: وعي نصي ووعي مقصدي .

- **التعامل العملي مع النص**

لخص هذه المستوى من التعامل مع النص وصف ابن مسعود – لمنهج الصحابة في التعامل مع النصوص: "كان الرجلُ منا إذا تعلَّم عشرَ آياتٍ لم يجاوزْهنَّ حتى يعرفَ معانيهن والعملَ بهن"[55] فهم بذلك تعاملوا عمليا مع كتاب الله، فحفظوه وتعلموا ما فيه وعملوا به، فجمعوا بين الحفظ والعلم والعمل.

وهذا المنطق العملي لا يعني تغييب المقاصد، بل على العكس، فهو عين الحس المقاصدي، فالمقصود الأعظم من التنزيل هو التطبيق في واقع الناس والعمل بأحكامه والتخلق بأخلاقه، حتى يكون كل مؤمن قرآنا يمشي بين الناس كما كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم-.[56]

- **التعامل اللغوي مع النص**

نزل القرآن بلسان عربي مبين على سبعة أحرف، تعرفها العرب القحاح، [قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ](الزمر:28) لذلك كان أول مدخل معرفي للتعامل مع النصوص فهما وتفسيرا هو الأداة اللغوية، فكانت التفاسير اللغوية أول المدونات التفسيرية، في صورة معجمية أو دلالية. منها: كتاب معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207 هـ، وكتاب معاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت 211 هـ، ومجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 210 هـ، وكتاب معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السّريّ الزجاج (ت 311هـ، وكلها سابقة لأول مدون تفسيرية جامعة وصلتنا وهو تفسير الإمام الطبري عدا الزجاج الذي عاصره. واستمر هذا الخط التفسيري فيما بعد كما في مفردات القرآن للراغب الأصفهاني وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي، فضلا عن كتب إعراب القرآن وبلاغته وبيانه.

54- الشاطبي، الموافقات، 334/2.

55- حديث صحيح رواه شقيق بن سلمة. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، 44/1.

56- مصداقا لحديث عائشة –رضي الله عنها- لما سألت عن حال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فقالت: "كان خلقه القرآن"

وتجلّى حضور المقاصد في هذا المقام على المستوى اللغوي، في شكل نكت ولفتات ولطائف لغوية نحوية وبلاغية، وفي صورة دلالات معاني الألفاظ في السياق القرآني.

- **التعامل التفسيري مع النص**

انتقل الجهد التفسيري بعدها إلى كشف المراد الإلهي من النصوص، وتوالت في ذلك المدونات التفسيرية بمختلف مشاربها ومناهجها، متلونة بتخصصات أصحابها وميولاتهم وآرائهم وخياراتهم العقدية والفقهية والسياسية، وإن كان طغى على أغلبها الرواية والنقل، مع الاختصار والتجميع أو التطويل والبسط. وكل التفاسير بعد الطبري أمثلة لذلك.

وبقي الفارق المعرفي والمنهجي بين تلكم الجهود هو الإضافات واللفتات التي يشير إليها المفسر بين ثنايا تفسيره، وغالبا ما تكون المقاصد حاضرة فيها، بحكم كونها ثمرة اجتهاد عقلي يبرز فيه الرأي ولا يكتفي بمجرد النقل.

- **التعامل الحكمي الفقهي مع النص**

اتجهت بعض الجهود التفسيرية إلى التخصص في بيان الأحكام الشرعية واستمدادها من النصوص، فظهر وتنامى الاتجاه الفقهي في التفسير، متمثلا في مدونات أحكام القرآن لابن العربي والجصاص والكياهراسي ومن نحا نحوهم.

ورغم تركيز هذا الاتجاه على ما لا يجاوز خمسمائة آية، إلا أنه قدم إضافة هامة للمكتبة التفسيرية والقرآنية عامة. وبدأت ملامح المقاصد تتنامى ولو عبر بعض المقاصد الجزئية التفصيلية للأحكام.

- **التعامل الأصولي الاجتهادي مع النص**

تعامل الأصوليين مع النص كمصدر ودليل ومستند اجتهادي لاستخراج الحكم الفقهي من مظانه وبأدواته، ومنها القواعد اللغوية والتشريعية، والتي تتضمن المقاصد كأداة أصولية تطور الاهتمام بها لتصير فنا مدونا ثم علما قائما بذاته .

وقد سبق ذلك نسبيا، استحضار المقاصد ضمن مباحث القياس والعلل، دون الغوص في الحدود اللغوية والمفهومية بين مصطلحات العلة والحكمة والغاية والمقصد.

- **التعامل المقصدي مع النص**

بعد استقلال المقاصد كعلم شرعي خاص، توطدت العلاقة أكثر بينها وبين النص بمختلف سياقاته ومقاماته، يقول الإمام ابن عاشور: "على العالم المتشبع بالاطلاع على مقاصد الشريعة وتصاريفها أن يفرّق بين مقامات خطابها؛ فإن منها مقامات موعظة وترغيب وترهيب، ومنها مقام تعليم وتحقيق، فيرد كل وارد من نصوص الشريعة إلى مورده اللائق"[(57)]

وقد امتد الحس المقاصدي من حدود مقاصد الأحكام الشرعية، إلى مقاصد الشرع والتشريع إجمالا، ثم مقاصد النصوص والقرآن التي صارت مجالا تأليفيا وتنظيريا خصبا، وصار يتداول كذلك مبحث متعلق بمقاصد العملية التفسيرية في حد ذاتها، ومقاصد التفسير هي تلك الغايات المشروعة التي يفترض أن يتوجه عمل المفسرين للقرآن الكريم إلى تحقيقها في حياة المجتمع الإسلامي.[(58)] وتحرير مقاصد التفسير والاتفاق بشأنها يكسب علم التفسير نوعا من الحماية والرعاية، ويمكننا من امتلاك بعض معايير المفاضلة بين التفاسير الموجودة بين أيدينا.[(59)]

3. تطور الاهتمام المقاصدي ومستويات الإعمال

57- بن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، 273/1.

58- مكاوي إدريس، مقاصد تفسير النص القرآني، ص39.

59- مكاوي إدريس، مقاصد تفسير النص القرآني، ص51.

من خلال ذلك المنحى التطوري، يتبدى تنامي الاهتمام المقاصدي في الثقافة الشرعية عامة، والقرآنية والتفسيرية خاصة، وقد تجلى النظر المقصدي في تطور الثقافة الأصولية وانفتاحها على مقاصد الشرع بشقيها، مقاصد الشارع ومقاصد المكلف، ومنها إلى مقاصد القرآن ومناهج تفسيره.

●المقاصد في ظل المنظور الشرعي:

تجلى الاهتمام بمقاصد الشريعة الإسلامية في ظل علم أصول الفقه، عبر دور المقاصد الفعال في استمداد الأحكام وتسديدها وربطها بروح الشريعة ونصوصها المرجعية، كل ذلك ضمن المستوى التشريعي أي "مقاصد الشارع" كما عرفت في التدوين الأصولي والمقاصدي.

وقد أسهم ذلك في التقعيد الأصولي والفقهي من جهة، وفي التقصيد الشرعي للعقل والفكر الإسلامي من جهة ثانية. فمن الجانب الأول تطور الطرح الأصولي من تفاريع المصادر والأدلة الشرعية، ومباحث الاجتهاد والتقليد والفتوى، وقضايا العارض والترجيح. ومن الجانب الثاني أخذ علم الأصول موقعه تدريجيا من ناظم للعقل الاجتهادي الفقهي المنتج للأحكام الشرعية، إلى ناظم موجه للعقل الإسلامي برمته، ومناهج تفكيره وتعاطيه مع شؤون الحياة بمختلف مجالاتها ومستجداتها.

●مقاصد الشريعة في المستوى التكليفي

انشغل الفكر الأصولي منذ بداياته بالشق الأول من المقاصد، أي مقاصد الشارع، ولم يعر نفس العناية للشق الثاني، أي مقاصد المكلف، كمبحث متكامل مقعد، وإن تناثر كإشارات وقضايا في مختلف المباحث الأصولية. رغم أن الإمام الشاطبي يؤكد عليها في موافقاته [60]، لكنها لم تلق بعد اهتماما بحثيا يليق بها كنصف الأطروحة لا كقضية جزئية في الموضوع..

و "مقاصد المكلف" من هذا المنظور هي الأفق الرحب للانفتاح على الواقع الإنساني بكل تجلياته وتعقيداته، فهي تضم مباحث غاية في الدقة والحساسية؛ فقه التكليف والعمل، فقه النيات والقصود والبواعث، فقه الواقع، فقه الأولويات والمآلات، فقه التعارض والترجيح، فقه العين والكفاية، فقه الاحتياط والوقاية، فقه التخصص والتكامل...

●المقاصد الشرعية والعودة إلى النص القرآني ..

بعد التراكم الهام في التدوين الفقهي والأصولي والمقاصدي، تبين طغيان لغة تأليفية تتسم بالمنطقية العقلانية المجردة، المناسبة للطبيعة التقنينية التقعيدية للمادة الأصولية، لكن ذلك أدى إلى جفاف روحي ونصوصي أفقد الثقافة الأصولية بعض فعاليتها التشريعية، مما أبعدها تدريجيا عن النص وروحه وهداياته.

وعليه تنامت دعوة منذ أمد للعودة إلى النص القرآني، فالعلوم الشرعية والإسلامية كلها بدأت على ضفاف النص القرآني والحديثي وعلومهما، وانفصلت تباعا باسم التخصص، لكن ذلك تم في غياب وعي تكاملي مرجعي يحافظ على مركزية النص قيمة وتأثيرا وحضورا في مختلف علومه المتنامية المتسعة تمام كما الاتساع الكوني اللامنتهي.

وذلك راجع –حسب اعتقادنا- إلى جملة أسباب من أهمها قلة العناية بالفسلفة العلمية، أقصد فلسفة العلوم الإسلامي ونظرياتها المعرفية، بالمنظور القرآني التوحيدي الأصيل، دون أي تخوف أو تحفظ من المخزون التاريخي للفسلفة وتطبيقاتها الغربية والعربية غير المنضبطة.

وعليه، لا بد للثقافة الشرعية عامة، والأصولية خاصة، أن تتحرر من تجريديتها الرتيبة، وتستفيد من الرصيد الهام لتطور مقاصد الشريعة الإسلامية في تفعيل خصيصة المقاصدية التي ستحيلها دون شك على النص القرآني وخصائصه الهدائية.

60- الشاطبي، الموافقات، 3/2، ويراجع القسم الثاني من كتاب المقاصد، 268/2 وما بعدها.

• مقاصد القرآن وآفاق التقصيد القرآني:

تسربت الثقافة المقاصدية إلى الحقل القرآني باقتدار، وظهر ما يسمى مقاصد القرآن الكريم، وهي –كما يعرفها الأستاذ الدكتور حامدي- الأغراض العليا الحاصلة من مجموع أحكام القرآن. [61] وواضح من التعريف تعلقها بالأحكام تماشيا مع الثقافة الأصولية والفقهية للموضوع.

ومقاصد القرآن عند العز بن عبد السلام هي ذاتها مقاصد الشريعة، فهي جلب المصالح وأسبابها ودرء المفاسد وأسبابها.[62]

هذا إجمالا، أما تفصيلا، فلا أدق من حصر الغزالي، فمقاصد القرآن عنده ستة؛ "ثلاث مهمة وثلاث متمة؛

فالثلاث المهمة هي تعريف المدعو إليه (الله) وتعريف الصراط المستقيم (الشريعة) وتعريف الحال عند الوصول إليه (اليوم الآخر)

والثلاث المتمة تعريف أحوال المجيبين وتعريف أحوال الجاحدين وعمارة منازل الآخرة". [63]

وبغض النظر عن مضمون التعريفات ومدى دقته وشموله، فإنّ مجرد قرن المقاصد بالنص القرآني يعدّ مكسبا معرفيا ومنهجيا للثقافة الشرعية المحتاجة لمرجعية النص القرآني ومنهجية العقل الأصولي المقاصدي، على أن موضوع مقاصد القرآن يحتاج مزيد ضبط ونظر وتأصيل، وهو مجال خصب للدراسات والأبحاث الأكاديمية حاضرا ومستقبلا.

وأول ما يجب تحريره بعد المفاهيم والضوابط، هو العلاقات الوظيفية الدقيقة بين مقاصد القرآن وموضوعاته ومحاوره وأهدافه... ويأتي بعدها تفصيل مستويات المقاصد القرآنية ومجالاتها الهدائية من منظور قرآني بعيدا عن التراث الأصولي المقاصدي والمنطق العقلي المجرد، حفاظا على أصالة الطرح وفعاليته واطراده.

• التفسير الموضوعي ومنهجية التقصيد القرآني

هذا وقد بلغت العلاقة بين النص والمقصد مستوى متقدما بنضج المنهج الموضوعي في التفسير بمختلف صوره: الكشفي والتجميعي والمصطلحي. فمبنى المنهج الموضوعي التجميعي على تجميع النصوص ذات الموضوع الواحد من مختلف مواضعها في المصحف، وهذا محتاج بلا شك لقدر عال من الوعي بمقاصد السياقات والنصوص والألفاظ القرآنية، سواء في مرحلة الجمع أو التفهم أو التركيب. وكذلك الشأن في المنهج المصطلحي.

أما المنهج الكشفي فلا يمكن تلمس موضوع السورة القرآنية واستكشافه من خلال آيات السورة إلا بوعي مقاصدي بألفاظ السورة وآياتها وسياقاتها وموضوعاتها الفرعية وأحكامها وقصصها...

لذلك يمكن اعتبار التفسير الموضوعي خطوة هامة في عملية التقصيد القرآني المنشود.

4. مستويات المقاصد القرآنية

إذا كانت الهداية المقصد القرآني الأعلى، فإن للقرآن مقاصد أخرى متعددة، بعضها عام وبعضها خاص، ويمكن جعلها ثلاثة مستويات: مقاصد الآيات، مقاصد السور، المقاصد العامة. وهذا التقسيم مطابق لتقسيم المقاصد عند الأصوليين: مقاصد جزئية وخاصة وعامة.

وإن كانت هناك مستويات وسيطة؛ فهناك مقصد لكل لفظة قرآني، ومقصد لكل آية، ومقصد للمقطع القرآني المتضمن أكثر من آية، وكما للسورة مقاصد فإن لسياق السور المشتركة في الموضع أو الموضوع مقاصد مشتركة أيضا، كالطوال والمفصل والحواميم وسور الأنبياء مثلا ... وهناك مقاصد عامة للقرآن المكي وكذا المدني. [64]

61- حامدي عبد الكريم، مقاصد القرآن، ص47.

62- العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام، 10/1.

63- الغزالي أبو حامد، جواهر القرآن، ص23-24.

64- يمكن مراجعة ذلك في كتب علوم القرآن: الزركشي، الرهان والسيوطي: الإتقان، الزرقاني، مناهل العرفان وغيرهم...

● المستوى الكلي: المقاصد القرآنية العامة – الهداية الإجمالية

المقاصد العامة للقرآن الكريم –كما سبق- هي الأغراض العليا الحاصلة من مجموع آي وسور القرآن. وهي تفصيل كلي لمقصد الهداية الأعم.

ويمكن تفصيلها بعدة اعتبارات ومناظير؛ فبالنظر لطبيعة الدين وأركانه يمكن تصنيفها إلى مقاصد عقدية وعبادية وخلقية. وباعتبار مجالات السنن هناك مقاصد آفاقية وأنفسية وهدائية وتأييدية. حسب التقسيم الرباعي للمنظومات السننية[65]

ومن منظور العلاقات بين الإنسان وخالقه وبقية المخلوقات، هناك مقاصد تعبدية استخلافية (مع الله) ومقاصد تعارفية أخوية (مع الناس) ومقاصد تسخيرية ارتفاقية[66] (مع الكون) أو كما عند العلواني المقاصد ثلاث: التوحيد والتزكية والعمران. [67]

وعموما، فقد أفاض المتقدمون والمتأخرون في مقاصد القرآن، فجعلها أبو حامد الغزالي ستة، ومحمد رشيد رضا عشرة، والزرقاني ثلاثة، وابن عاشور عدها ثمانية، ومحمد الغزالي حصرها في خمس، وكذلك المودودي، وليس هذا مقام تفصيل ذلك ومناقشته. [68]

ويبقى الأهم هو ضبط معايير وآليات الحصر ودوائره، للخروج بطرح مقاصدي متكامل يليق نسبه لكتاب الله تعالى. ويمكن الانطلاق في ذلك من أسماء القرآن وأوصافه مثلا، ومن أسماء سوره وموضوعاتها ومقاصدها، أو حتى من أسماء الله الحسنى وصفات العلى، كما يمكن استمدادها من خصائص الشريعة الإسلامية وخصوصياتها، فخصوصية المقاصد القرآنية من خصوصية الشريعة الإسلامية: ولذلك يختص القرآن –كما الشريعة- بأوصاف الخلود والخاتمية والديمومة والصلاحية والاجتهادية... [69]

● المستوى الجزئي: الهداية التفصيلية

إذا تأملنا كل هداية إجمالية ألفيناها متضمنة لجملة هدايات تفصيلية مندرجة تحت مجل معناها، فمقصد التعارف مثلا تتفرع عنه جملة مقاصد تابعة له مجسدة لحقيقته، منها التآخي والتكافل والتعاون والتراحم والمشاركة والتواصي بالحق والصبر وغيرها... وكذلك كل المقاصد العامة. وحريّ بالذكر أنّ الفرق بين المستويين أن المقصد العام قيمة مطلقة مطلوبة لذاتها في كل مقام، بينما المقصد التفصيلي قيمة نسبية راجعة لظروف الزمان والمكان والإنسان؛ فالتعارف مثلا أصل مطلق مطلوب مع كل مخلوق، لكن التآخي قرين الإيمان، والتعاون في البر لا الإثم، والمشاركة في المباحات لا المحرمات، وهكذا...

● مقاصد السياق القرآني: السياق السوري النزولي والمصحفي

من خصوصيات القرآن ومظاهر إعجازه أن لكل سورة مقاصدها وهداياتها، وتشترك مع جمل سور في بعضها، ومن عدة أوجه، كون السور متوالية النزول التاريخي، فما نزل بمكة تجمعه مقاصد تختلف عن بقية القرن المدني، وما قبل الفتح غير ما بعده ... كون السور متوالية في النظم المصحفي، حسب الأرباع والأحزاب، فالزهراوان لهما مقاصد مشتركة،

65- تراجع كتابات الدكتور الطيب برغوث، منها: حركة المداولة الحضارية وشبكة القوانين الكلية المؤثرة فيها، منظور سنني قرآني مقاصدي، سلسلة آفاق في الوعي السنني، رقم: 28، دار النعمان للطباعة والنشر، المحمدية، الجزائر، طبعة جانفي 2019م، ص117-120.

66- النجار عبد المجيد، فقه التحضر الإسلامي، سلسلة فقه الشهود الحضاري 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

67- العلواني طه جابر، التوحيد التزكية العمران، محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، سلسلة قضايا إسلامية معاصرة، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م،

68- يمكن مراجعة ذلك في الكتب والدراسات حول الموضوع، مثلا: بوعكاز عيسى ، مقاصد القرآن ومحاوره عند المتقدمين والمتأخرين، مقال منشور بمجلة الإحياء، عدد20 / 2017م، ص 81-106.

69- يراجع ابن عاشور، التحرير والتنوير، 18/3.

وسورتا المزمل والمدثر، والمعوذتان... كون السور متناسبة الحجم، كالطوال والمئين والقصار والمفصل... كون السور مشتركة في الموضوع والمسمى والسمات، كسور الأنبياء، وسور الحيوانات وسور الظواهر الطبيعية وسور الأقوام والشعوب والأمم والسور النورانية والحواميم وسور القسم ...

- **مقاصد السورة القرآنية: الهداية الكشفية**

من أهم الفتوح التفسيرية في العصر الحديث بروز منهج التفسير الموضوعي الكشفي، الباحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، من خلال اسمها ونزولها وموضوعاتها وقصصها وآياتها المحورية. ومن أبرز من اهتم بمقاصد السور القرآنية الإمام البقاعي في كتابه مصاعد النظر، حيث يقول: "ومن حقق المقصود منها عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها... فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها... فصارت كل سورة دائرة كبرى مشتملة على دوائر الآيات الغر البديعة النظم العجيبة الضم".[70]

- **مقاصد المقطع القرآني: المقطع النظمي والموضوعي**

إذا كان للسورة مقصد رئيس، فإنه يتفرع إلى مقاصد جزئية، تتوزع على مقاطع السورة، والمقطع يتضمن آيتين فأكثر، وقد تتعدد المقاطع بسب السياقات والقصص المتضمنة في السورة، وغالبا ما يلحظ تمايز المقاطع بتغير الموضوع أو النسق والنظم اللغوي لآيات السورة، وعليه هناك مقاطع موضوعية ومقاطع نظمية، وقد يجتمع الاثنان معا، وفي ذلك تيسير لكشف موضوعات السورة ومقاصدها ومقاطعها.

ومثال ذلك سورة الشمس، فالمتدبر لآياتها الخمسة عشر نظما وموضوعا يلحظ تضمنها ثلاثة مقاطع متكاملة؛

المقطع الأول يشمل الآيات الست الأولى التي أقسم المولى عز وجل فيها بجملة ظواهر وأجرام كونية ثنائية: الشمس والقمر، النهار والليل، السماء والأرض، وعليه فمقصد المقطع يدور حول سنن الآفاق عامة وسنّة الزوجية الثنائية التكوينية خاصة.

أما المقطع الثاني بآياته الأربع فيتمحور حول النفس البشرية السوية الملهمة وسننها التكوينية والهدائية في شكل ثنائي أيضا: الفجور والتقوى، الفلاح والخيبة، التزكية والتدسية.

وتختم السورة بمقطع سنني تاريخي اجتماعي يلخص ثنائية التجربة البشرية في صورة ثمود قوم صالح –عليه السلام- في ظل نظام ثنائي دوما: التكذيب والطغيان والعقر مقابل الرسالة والمعجزة والعذاب.

- **مقاصد الآية القرآنية: التناول اللغوي - الاستثمار التشريعي – التوظيف الهدائي**

المقاصد التفصيلية للآيات القرآنية محل عناية عامة المفسرين، سواء جاء صريحا أو فهم ضمنا من كلامهم، وهو غرض المفسر من تفسيره. ويمكن توصيف مستويات الثراء المقاصدي للآية القرآنية حسب مستوى التعامل؛ فالتناول اللغوي الدلالي للنص يستهدف فهم النص وتكشيف معانيه، وستتحدد مقاصده تبعا لذلك. وعلى المستوى التشريعي يجتهد الفقيه والأصولي لاستمداد الحكم الشرعي من النص بقواعد وآليات محددة، وسيثمر ذلك كشفا مقاصديا من طبيعة التناول، ويبقى المستوى الأوسع في التعامل هو التوظيف الهدائي للنص، في مختلف مستويات ومجالات إعمال النص وتأطير الواقع الإنساني بهديه، وهو مجال واسع يتجاوز حدود التعامل التفسيري اللغوي والفقهي الأصولي.

70- البقاعي برهان الدين، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، 149/1.

- **مقاصد المفردة القرآنية: الكلمة والمصطلح**

كل تلكم المستويات المقاصدية في التعامل مع النص، تنطلق من محطة أساسية وهي تقصيد التعامل مع المفردة القرآنية، فلا يمكن الاهتداء بالقرآن كله، وسوره وآياته، دون وعي سليم بمقاصد اللفظ القرآني وخصوصياته المصطلحية، ودون وعي منهج القرآن الفريد المعجز في انتقاء وضبط ونظم كلماته صوتا ورسما ومعجما وصرفا ونحوا ودلالة.

وكل كلمة قرآنية مثال حي في هذا السياق، تدبر فقط تغير ورود اللفظ بعدة معان تبدو متقاربة لكن نظمها القرآني دقيق عميق: الإله والرب، البشر والإنسان، الفتى والغلام، المرأة والزوجة، إخوان لوط وقوم لوط، المسيحيون والنصارى،...

5. الهداية القرآنية وآفاق التقصيد

حقيقة التقصيد القرآني:

لم يستخدم المقاصديون مصطلح التقصيد بهذه الصيغة التفعيلية إلا نادرا، فقد ورد مرة واحدة عند الشاطبي، وكذلك عند ابن عاشور. [71]

والتقصيد تعقيل الغايات والأسرار والحكم وفق ما يريده ويتغياه الشرع. وهو إفراغ الباحث جهده العلمي في استجلاء الإرادة الشرعية من النصوص والأحكام لتبين مقاصد الشارع من خطابه ومقاصده من أحكامه. [72]

التقصيد القرآني هو حوصلة المكاملة التفاعلية المتوازنة بين الهداية القرآنية والتقعيد الأصولي المقاصدي. أي أنه استهداء التقعيد المقاصدي قرآنيا أو تقعيد الهداية القرآنية مقاصديا.

فهو –بلغة أبسط- التعامل مع المقاصد الشرعية بيانا وتقعيدا وتفعيلا وتوظيفا في ضوء الهدايات القرآنية العامة، والخاصة في مجال القضية المطروحة للنظر القرآني المقاصدي. وفي الوقت ذاته استجلاء الهدايات القرآنية العامة والخاصة من القرآن ونصوصه، وفقا لما وصله التقعيد الأصولي المقاصدي.

وبتأمل شقي التقصيد، نلحظ تركيز النظر الأول على دور الهداية القرآنية في الاجتهاد الأصولي المقاصدي. بينما يركز النظر الثاني على دور التقعيد المقاصدي في الاجتهاد القرآني التفسيري.

ويمكن تعميم ذلك على مطلق التفاعل والتعامل الواسع مع القرآن والمقاصد في الحياة الإنسانية للفرد المسلم خاصة والإنسان عامة، عبر منهج ومنطق التقصيد متجليا في هذه الثنائية المتناغمة الهداية والتقعيد.

مجالات التقصيد وحدوده:

التقصيد الجديد –كما يطرحه الأستاذ أبوبكر كافي- يدور على أربعة أبواب؛ الأولان محمودان، والأخيران محل بحث ونظر وتوقف وتردد: [73] الأول: إيجاد استنباطات جزئية لم يتطرق إليها المتقدمون، وهذا العلم من المنح والعطايا الإلهية التي قد تدخر لمتأخر ما لم يفتح به على متقدم. الثاني: توظيف المقاصد في حل الإشكالات ودفع التعارضات، وهي جادة مسلوكة من علمائنا وأئمتنا المتقدمين. الثالث: تعيين وتوسيع تفسيرات ودلالات للمقاصد لم يتطرق إليها المتقدمون، وهذا محل بحث ونظر. الرابع: إضافة مقاصد جديدة غير ما وضعه المتقدمون، وهو كذلك محل بحث ونظر والإشكال فيه أشد، والتوقف فيه أولى واسلم.

وقد أجاد الأستاذ في بسطه لأبواب التقصيد الأربع، وفي فتحه باب الاجتهاد في الأولين منها، لكنه اعتبر البابين الأخيرين محل بحث ونظر، وإن لم يمنع إمكانهما ولم يصرح بحظر الاجتهاد فيهما، لأن باب الاجتهاد فيهما كما في غيرهما من ظنيات

71- الحسني إسماعيل، نظرية المقاصد عند ابن عاشور، ص134. وينظر الشاطبي، الموافقات، 424/3. ابن عاشور، النظر الفسيح، ص365.

72- الحسني إسماعيل، نظرية المقاصد عند ابن عاشور، ص133.

73- كافي أبو بكر، التقصيد الجديد وأثره في قبول الرواية الحديثية وتأويلها، ص877.

المعرفة التفصيلية يفترض أن يبقى مفتوح الباب لمن هو أهل له، ممن جمع بين عمق الهداية القرآنية وضبط التقعيد المقاصدي.

وما استشكله الأستاذ حول إمكانية إضافة مقاصد جديدة، هو ما قام به كثير من العلماء القدامى والمحدثين، فقد تعددت أقوالهم في تحديد المقاصد العامة وفي كونهما مقصدا واحدا أم مقاصد متعددة. ثم ناقش بعضهم التقسيم الخماسي للضرورات الخمس، وأضاف البعض عليها كليات أخرى كالعرض، والعدل، والحرية، والبيئة، وراجع البعض التقسيم كليا، واقترح آخرون تصنيفات جديدة للمقاصد. فكيف ينظر لهاته الجهود بمنظار التوقف؟

وإن كنت أوافق الأستاذ كافي في أن كل المحاولات التجديدية في المقاصد لم تستطع تجاوز منطقية وعقلانية الحصر الدقيق في خماسية الكليات وثلاثية المراتب. ولم تقنعنا بمعيار المراجعة ومبرر إدخال ما تم إدخاله من مقاصد جديدة.

لكن الهيكل العام للثقافة المقاصدية المتداولة ومضامينها التفصيلية محل بحث واجتهاد ونظر، والدليل على ضرورة ذلك كثرة الاجتهادات والمحاولات والمراجعات المطروحة قديما وحديثا.

توسيع دوائر توظيف المقاصد في الحياة خارج حدود الدائرة الفقهية الأصولية:

إن أطروحة التقصيد القرآني تستدعي بالضرورة توسيع دوائر توظيف المقاصد في الحياة خارج حدود الدائرة الفقهية الأصولية إذ "لا يقتصر دور المقاصد على الخطاب الشرعي والأحكام الخمسة الفقهية، بل يشمل الحياة كلها بكل جوانبها وأبعادها"[74]. لذلك فإن "دائرة النظر المقاصدي تنداح كثيرا لتشمل علوم الشريعة كلها بما فيها من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات، ولا تختص بالنظر في الأحكام العملية كما هو الحال في الفقه"[75]

التركيز على المقاصد الغائية الكلية قرآنيا ومقاصديا:

"لكي تأخذ الدراسات المقاصدية مداها المنهجي وتصبح جزء من المحددات المنهجية المعرفية، وتؤدي دورها في معالجة الأزمات الفكرية، لا بد من التركيز على المقاصد الكلية للرسالة الخاتمة والشريعة التي جاءت بها، حيث إن المقاصد الجزئية والتفصيلية ستبقي الفكر الإسلامي حبيس الدائرة الفقهية التقنينية التي مهما اتسعت ستبقى ضيقة، ومهما عممت فستبقى خاصة بتلك الدائرة"[76].

آليات الاهتداء المقاصدي بالنص القرآني

حتى يتم الاهتداء المقاصدي السديد الرشيد بالنص القرآني لا بد من استحضار متكامل متزن بجملة من آليات شكلية وتاريخية وتفسيرية ومعرفية؛ فمن الآليات الشكلية: اللغة والقراءات والرسم .. ومن الآليات التاريخية: أسباب النزول و المناسبات والسياق، ومن الآليات التفسيرية: العودة لكتب التفسير ومقدمات التفاسير خاصة ومقدمات تفسير السور بشكل أخص، خاصة عند من يركز على ذلك من المفسرين، ومن الآليات المعرفية: استحضار وتوظيف علوم القرآن وكذا المعرفة الحديثة، هذه الأخيرة التي كانت محل نقاش حول مشروعيتها ومحاذيرها، وكأن المعرفة البشرية الحديثة مصادمة لقدسية الوحي الإلهي المعصوم، وسال الحبر التفسيري والإسلامي طويلا حول ثنائية العقل والنقل، والرأي والأثر، بل وصنفت التفاسير تبعا لذلك إلى أثرية وتفاسير رأي محمود ومذموم، وكأنه يمكننا تفسير القرآن بالنقل وحده أو العقل بمفرده، إنه لا تفسير إلا باجتماع العقل والنقل معا، والرأي والأثر سويا.

مرتكزات التقصيد القرآني وضوابطه:

يرتكز التقصيد القرآني على مجمل ما يعود على شقيه: التقعيد المقاصدي الأصولي، والاهتداء القرآني.

74- الحسني اسماعيل، نظرية المقاصد عند ابن عاشور، ص31.

75- زينب عبد السلام ، واقع الفتاوى المعاصرة في ضوء مقاصد الشريعة، ص10.

76- العلواني طه جابر ، مقدمة كتاب نظرية المقاصد عند ابن عاشور لإسماعيل الحسني، ص6.

فمن مرتكزات التقعيد المقاصدي: الوسطية والاعتدال، مراعاة المآلات، مراعاة العوائد والأعراف وتغير الزمان والمكان، مراعاة حال المكلفين.(77) ومن ضوابط التقعيد الأصولي: الصياغة الموجزة المحكمة، الاستيعاب والشمولية والتجريد، الاطراد والجزم، انتفاء المصادمة مع الأًصول الكلية الشرعية... (78)

ومن مرتكزات الاهتداء القرآني وضوابطه: استحضار أسماء القرآن وصفاته، الاسترشاد بالنهج العملي الواقعي للنبي والسلف، النظرة الكلية الشاملة للقرآن، العيش في جو النص القرآني ... (79)

إذا استرشد التقصيد القرآني بهذه المرتكزات والضوابط وغيرها مما لم يذكر في هذه العجالة، سيفتح ذلك بلا ريب آفاقا رحبة للاهتداء المثمر بالنصوص القرآنية الكريمة في ظل وعي مقاصدي فعال.

77- منير يوسف، التقعيد المقاصدي للفتوى، ص 123-128.

78- بن الحاج جلول محمد، التقعيد الأصولي وأثره في اختلاف المجتهدين، ص21.

79- الخالدي صلاح عبد الفتاح، مفاتيح التعامل مع القرآن الكريم.

خاتمة: حوصلة واستخلاص

بعد هذه الإطلالة العاجلة على هذا الموضوع الجدير بالاهتمام والإثارة والإثراء، يمكن تلخيص وحوصلة هذه المداخلة فيما يلي:

- ✓ تراوح الطرح الأصولي لمفهوم النص بين دلالته ولفظه، والثاني هو مقصود هذه الدراسة، بكل ما يحمله من معاني وخصائص القرآن ذاته.
- ✓ يدور معنى الهداية حول الإرشاد والبيان والإيصال للمقصد بتقدم ولطف، بطريق البرهان والوجدان، وتجلية الهداية المقصد الأساس للتفسير.
- ✓ التقعيد صياغة قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها. وهو عمل علمي صياغي يقوم على استقراء واستنباط الأحكام من جزئيات كثيرة لإثبات كليتها.
- ✓ وعليه فالقصد لغة يدور حول التوجه المستقيم المعتدل نحو الغاية بسهولة سلك وقوة اعتماد تجعلها قريبة المنال.
- ✓ وبتأمل هذه التعريفات نلحظ كلمات مفتاحية تجمعها، وهي المعاني والغايات والحكم والعلل التي وضعت الشريعة لتحقيقها، ومجالها الشريعة إجمالا وأحكامها تفصيلا، ومدارها تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد، وغايتها تعبيد الخلق لله اختيارا كما هم اضطرارا. ومظانها نصوص الوحي وأحكام الفقه، ومصدرها -الذي تضمره أغلب التعريفات- وهو الله عز وعلا.
- ✓ ومنه يمكن القول أن مقاصد الشريعة: هي المعاني والغايات والحكم الملحوظة في نصوص وأحكام الشريعة الإسلامية، لتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد.
- ✓ المقاصد حاضرة في نصوص القرآن والسنة، وفي عمل السلف كروح وقيم في إطار إعمال النظر والتفكر والتدبر.
- ✓ التعامل العملي مع النصوص عند الصحابة والسلف هو عين الحس المقاصدي السليم.
- ✓ كانت اللغة أول مدخل معرفي للتعامل مع القرآن الكريم، مع حضور دلالي للمقاصد.
- ✓ في سياق كشف المراد الإلهي تنامت المدونات التفسيرية مع غلبة الرواية وتفاوت الإضافة المقاصدية.
- ✓ قدم المنهج الفقهي ثروة تفسيرية هامة ركزت على استمداد الأحكام الشرعية مع مقاصدها التفصيلية.
- ✓ وظف العقل الأصولي النصوص كمصادر وأدلة، مع حضور المقاصد كعلل وحكم في باب القياس خاصة.
- ✓ استقلال علم المقاصد وطد علاقة النص بالمقصد، ونقل المقاصد من الشرع والتشريع إلى مقاصد القرآن ومقاصد التفسير.
- ✓ عبر تطور وتنامي الاهتمام المقاصدي في الثقافة الشرعية عامة، والقرآنية والتفسيرية خاصة، تجلى النظر المقصدي في تطور الثقافة الأصولية وانفتاحها على مقاصد الشرع بشقيها، مقاصد الشارع ومقاصد المكلف، ومنها إلى مقاصد القرآن ومناهج تفسيره.
- ✓ انشغل الفكر الأصولي منذ بداياته بالشق الأول من المقاصد، أي مقاصد الشارع، ولم يعر نفس العناية للشق الثاني، أي مقاصد المكلف، التي هي الأفق الرحب للانفتاح على الواقع الإنساني بكل تجلياته وتعقيداته.
- ✓ لا بد للثقافة الشرعية عامة، والأصولية خاصة، أن تتحرر من تجريديتها الرتيبة، وتستفيد من الرصيد الهام لتطور مقاصد الشريعة الإسلامية في تفعيل خصيصة المقاصدية التي ستحيلها دون شك على النص القرآني وخصائصه الهدائية. ولن يتحقق ذلك إلا بتفعيل محاولات العودة إلى النص والتأسيس الفلسفي السليم لها.
- ✓ تسربت الثقافة المقاصدية إلى الحقل القرآني باقتدار، وظهر ما يسمى مقاصد القرآن الكريم، وهي الأغراض العليا الحاصلة من مجموع آي وسور القرآن.

✓ بغض النظر عن المضمون المفهومي والمعرفي لمقاصد القرآن، فإنّ مجرد قرن المقاصد بالنص القرآني يعدّ مكسبا معرفيا ومنهجيا للثقافة الشرعية المحتاجة لمرجعية النص القرآني ومنهجية العقل الأصولي المقاصدي، على أن موضوع مقاصد القرآن يحتاج مزيد ضبط ونظر وتأصيل، وهو مجال خصب للدراسات والأبحاث الأكاديمية حاضرا ومستقبلا.

✓ هذا وقد بلغت العلاقة بين النص والمقصد مستوى متقدما بنضج المنهج الموضوعي في التفسير بمختلف صوره: الكشفي والتجميعي والمصطلحي. لذلك يمكن اعتبار التفسير الموضوعي خطوة هامة في عملية التقصيد القرآني المنشود.

✓ إذا كانت الهداية المقصد القرآني الأعلى، فإن للقرآن مقاصد أخرى متعددة، بعضها عام وبعضها خاص، ويمكن جعلها ثلاثة مستويات: مقاصد الآيات، مقاصد السور، المقاصد العامة. وهذا التقسيم مطابق لتقسيم المقاصد عند الأصوليين: مقاصد جزئية وخاصة وعامة. وإن كانت هناك مستويات وسيطة؛ فهناك مقصد لكل لفظة قرآني، ومقصد لكل آية، ومقصد للمقطع القرآني المتضمن أكثر من آية، وكما للسورة مقاصد فإن لسياق السور المشتركة في الموضع أو الموضوع مقاصد مشتركة أيضا.

✓ المستوى الكلي للاهتداء المقاصدي هو مستوى الهداية الإجمالية المتضمن المقاصد القرآنية العامة وهي الأغراض العليا الحاصلة من مجموع آي وسور القرآن. وهي تفصيل كلي لمقصد الهداية الأعم، ويمكن تفصيلها بعدة اعتبارات ومناظير؛ فبالنظر لطبيعة الدين وأركانه يمكن تصنيفها إلى مقاصد عقدية وعبادية وخلقية. وباعتبار مجالات السنن هناك مقاصد آفاقية وأنفسية وهدائية وتأييدية. ومن منظور العلاقات هناك مقاصد تعبدية استخلافية (مع الله) ومقاصد تعارفية أخوية (مع الناس) ومقاصد تسخيرية ارتفاقية (مع الكون) وقد أفاض فيها المتقدمون والمتأخرون بين مختصر ومتوسع.

✓ ضرورة ضبط معايير وآليات الحصر ودوائره، للخروج بطرح مقاصدي متكامل يليق نسبه لكتاب الله تعالى. ويمكن الانطلاق في ذلك من أسماء القرآن وأوصافه مثلا، ومن أسماء سوره وموضوعاتها ومقاصدها، أو حتى من أسماء الله الحسنى وصفات العلى، كما يمكن استمدادها من خصائص الشريعة الإسلامية وخصوصياتها.

✓ إذا تأملنا كل هداية إجمالية ألفيناها متضمنة لجملة هدايات تفصيلية مندرجة تحت مجمل معناها، و الفرق بين المستويين أن المقصد العام قيمة مطلقة مطلوبة لذاتها في كل مقام، بينما المقصد التفصيلي قيمة نسبية راجعة لظروف الزمان والمكان والإنسان.

✓ من خصوصيات القرآن ومظاهر إعجازه أن لكل سورة مقاصدها وهداياتها، وتشترك مع جمل سور في بعضها، ومن عدة أوجه، كون السور متوالية النزول التاريخي أو النظم المصحفي أو كونها متناسبة الحجم، أو مشتركة في الموضوع والمسمى والسمات.

✓ من أهم الفتوح التفسيرية في العصر الحديث بروز منهج التفسير الموضوعي الكشفي، الباحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية على مستوى الهداية الكشفية لموضوعات ومقاصد السورة القرآنية .

✓ من مستويات المقاصد القرآنية مستوى مقاصد المقطع القرآني؛ النظمي والموضوعي، فكل مقصد رئيس يتفرع إلى مقاصد جزئية، تتوزع على مقاطع السورة، وقد تتعدد المقاطع بسب السياقات والقصص المتضمنة في السورة، وغالبا ما يلحظ تمايز المقاطع بتغير الموضوع أو النسق والنظم اللغوي لآيات السورة، وعليه هناك مقاطع موضوعية ومقاطع نظمية، وقد يجتمع الاثنان معا، وفي ذلك تيسير لكشف موضوعات السورة ومقاصدها ومقاطعها.

✓ المقاصد التفصيلية للآيات القرآنية محل عناية عامة المفسرين، سواء جاء صريحا أو فهم ضمنا من كلامهم، وهو غرض المفسر من تفسيره. ويمكن توصيف مستويات الثراء المقاصدي للآية القرآنية حسب مستوى التعامل: التناول اللغوي الدلالي للنص الذي يستهدف فهم النص وتكشيف معانيه، وعلى المستوى التشريعي يجتهد الفقيه والأصولي لاستمداد الحكم الشرعي من النص بقواعد وآليات محددة، ويبقى المستوى الأوسع في التعامل هو التوظيف الهدائي للنص، في مختلف

مستويات ومجالات إعمال النص وتأطير الواقع الإنساني بهديه، وهو مجال واسع يتجاوز حدود التعامل التفسيري اللغوي والفقهي الأصولي.

✓ من مستويات المقاصد القرآنية مستوى مقاصد المفردة القرآنية ،فلا يمكن الاهتداء بالقرآن كله، وسوره وآياته، دون وعي سليم بمقاصد اللفظ القرآني وخصوصياته المصطلحية، ودون وعي منهج القرآن الفريد المعجز في انتقاء وضبط ونظم كلماته صوتا ورسما ومعجما وصرفا ونحوا ودلالة.

✓ إن الهداية القرآنية كمنطلق أساس في ترشيد العلاقة بين النصوص والمقاصد يفتح آفاق واسعة للتقصيد القرآني، تأسيسا لحقيقة التقصيد القرآني في حد ذاته، وضبط مجالاته وحدوده، مع توسيع دوائر توظيف المقاصد في الحياة خارج حدود الدائرة الفقهية الأصولية والتركيز على المقاصد الغائية الكلية قرآنيا ومقاصديا، واستكشاف وتوظيف آليات الاهتداء المقاصدي بالنص القرآني وفق مرتكزات التقصيد القرآني وضوابطه.

✓ لم يستخدم المقاصديون مصطلح التقصيد بهذه الصيغة التفعيلية إلا نادرا، والتقصيد تعقيل الغايات والأسرار والحكم وفق ما يريده ويتغياه الشرع. وهو إفراغ الباحث جهده العلمي في استجلاء الإرادة الشرعية من النصوص والأحكام لتبين مقاصد الشارع من خطابه ومقاصده من أحكامه.

✓ التقصيد القرآني هو حوصلة المكاملة التفاعلية المتوازنة بين الهداية القرآنية والتقعيد الأصولي المقاصدي. أي أنه استهداء التقعيد المقاصدي قرآنيا أو تقعيد الهداية القرآنية مقاصديا. ويمكن تعميم ذلك على مطلق التفاعل والتعامل الواسع مع القرآن والمقاصد في الحياة الإنسانية للفرد المسلم خاصة والإنسان عامة، عبر منهج ومنطق التقصيد متجليا في هذه الثنائية المتناغمة الهداية والتقعيد.

✓ مجالات التقصيد وحدوده غير منضبطة بعد بدقة، فهي محل دراسة وتداول معرفي ومنهجي، وإن كان الأصل أن باب الاجتهاد فيها يبقى مفتوحا، إلا أن كل المحاولات التجديدية في المقاصد لم تستطع تجاوز منطقية وعقلانية الحصر الدقيق في خماسية الكليات وثلاثية المراتب. ولم تقنعنا بمعيار المراجعة ومبرر إدخال ما تم إدخاله من مقاصد جديدة. لكن الهيكل العام للثقافة المقاصدية المتداولة ومضامينها التفصيلية محل بحث واجتهاد ونظر، والدليل على ضرورة ذلك كثرة الاجتهادات والمحاولات والمراجعات المطروحة قديما وحديثا.

✓ إن أطروحة التقصيد القرآني تستدعي بالضرورة توسيع دوائر توظيف المقاصد في الحياة خارج حدود الدائرة الفقهية الأصولية ليشمل الحياة كلها بكل جوانبها وأبعادها، ولا تختص بالنظر في الأحكام العملية كما هو الحال في الفقه"

✓ لكي تأخذ الدراسات المقاصدية مداها المنهجي وتصبح جزء من المحددات المنهجية المعرفية، وتؤدي دورها في معالجة الأزمات الفكرية، لا بد من التركيز على المقاصد الكلية للرسالة الخاتمة والشريعة التي جاءت بها، حيث إن المقاصد الجزئية والتفصيلية ستبقي الفكر الإسلامي حبيس الدائرة الفقهية التقنينية التي مهما اتسعت ستبقى ضيقة، ومهما عممت فستبقى خاصة بتلك الدائرة.

✓ حتى يتم الاهتداء المقاصدي السديد الرشيد بالنص القرآني لا بد من استحضار متكامل متزن بجملة من آليات شكلية وتاريخية وتفسيرية ومعرفية؛ فمن الآليات الشكلية: اللغة والقراءات والرسم.. ومن الآليات التاريخية: أسباب النزول والمناسبات والسياق، ومن الآليات التفسيرية: العودة لكتب التفسير ومقدمات التفاسير خاصة ومقدمات تفسير السور بشكل أخص، خاصة عند من يركز على ذلك من المفسرين، ومن الآليات المعرفية: استحضار وتوظيف علوم القرآن وكذا المعرفة الحديثة، هذه الأخيرة التي كانت محلّ نقاش حول مشروعيتها ومحاذيرها.

✓ يرتكز التقصيد القرآني على مجمل ما يعود على شقيه: التقعيد المقاصدي الأصولي، والاهتداء القرآني.

✓ من أهم مرتكزات التقعيد المقاصدي: الوسطية والاعتدال، مراعاة المآلات، مراعاة العوائد والأعراف وتغير الزمان والمكان، مراعاة حال المكلفين...

✓ من أهم ضوابط التقعيد المقاصدي: الصياغة الموجزة المحكمة، الاستيعاب والشمولية والتجريد، الاطراد والجزم، انتفاء المصادمة مع الأًصول الكلية الشرعية...

✓ من مرتكزات الاهتداء القرآني وضوابطه: استحضار أسماء القرآن وصفاته، الاسترشاد بالنهج العملي الواقعي للنبي والسلف، النظرة الكلية الشاملة للقرآن، العيش في جو النص القرآني...

✓ إذا استرشد التقصيد القرآني بهذه المرتكزات والضوابط وغيرها مما لم يذكر في هذه العجالة، سيفتح ذلك بلا ريب آفاقا رحبة للاهتداء المثمر بالنصوص القرآنية الكريمة في ظل وعي مقاصدي فعال.

✓ هذا وتوصي هذه المقاربة في الختام بضرورة تكثيف وتوجيه وتشجيع البحث العلمي الجاد في موضوع التقصيد القرآني وما يتعلق به من مسائل وقضايا وإشكالات، وكل ما يدور في فلك العلاقة المنهجية والمعرفية بين النص القرآني ومقاصد الشريعة الإسلامية. ومواصلة النقاش العلمي في تفريعات الموضوع عبر ملتقيات وطنية ودولية، وعبر التأليف والنشر الأكاديمي كمقالات وأطاريح . وعبر نشر أعمال هذا المؤتمر العامر مواصلته في فرص قادمة بإذن الله.

✓ كما توصي الدراسة بمد أفق مكمل للموضوع في السنة النبوية الشريفة، عبر البحث في التقصيد الحديثي وما يتعلق به.

والله المستعان وعليه التكلان، وهو الموفق لكل خير.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، د.ط.ت.
2. ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، تقديم: الأستاذ الدكتور إحسان عباس الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، د.ط.ت.
3. ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م.
4. ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي،مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي، كوالالمبور: دار الفجر وعمان : دار النفائس، ط1، 1999.
5. ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي،النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، دار السلام، القاهرة، مصر، دار سحنون، تونس، ط1، 1428هـ/2007م.
6. ابن عبد البر يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عادل مرشد، دار الأعلام، عمان، الأردن، ط1، 1423هـ/2002م.
7. ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت، 1408هـ. 1988م.
8. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية، فريق العمل، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/2008م.
9. الأزهري محمد بن أحمد الهروي، أبو منصور ،تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
10. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، د.ط.ت.
11. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، تخريج أحاديث العقيدة الطحاوية ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ .
12. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422 هـ .
13. البخاري، علاء الدين عبد العزيز الحنفي، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ط.ت.
14. البرسوي الخلوتي إسماعيل حقي، أبو الفدا، روح البيان، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط.ت.
15. برغوث الطيب، حركة المداولة الحضارية وشبكة القوانين الكلية المؤثرة فيها، منظور سنني قرآني مقاصدي، سلسلة آفاق في الوعي السنني، رقم: 28، دار النعمان للطباعة والنشر، المحمدية، الجزائر، طبعة جانفي 2019م.
16. البقاعي برهان الدين أبو الحسين إبراهيم بن عمر، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، ط 1408هـ/1987م.
17. البصري أبو الحسين محمد بن علي المعتزلي، المعتمد في أُصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ.
18. بن الحاج جلول محمد، التقعيد الأصولي وأثره في اختلاف المجتهدين عند ابن بزيزة التونسي من خلال كتابه روضة المستبين في شرح كتاب التلقين، دراسة أصولية فقهية مقارنة، رسالة دكتوراه في الفقه وأصوله، إشراف أ د حمحامي مختار، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة أحمد بن بلة وهران1، الجزائر، 1440- 1441هـ/2019-2020م.
19. بن زغيبة عز الدين، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، إشراف د. محمد أبو الأجفان، دار الصفوة، القاهرة، مصر، ط1، 1417هـ/1996م.
20. بوعكاز عيسى، مقاصد القرآن ومحاوره عند المتقدمين والمتأخرين، مجلة الإحياء، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة1، الجزائر، عدد20 / 2017م
21. حامدي عبد الكريم، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، دار ابن حزم، ط1، 1429هـ/2008م.
22. حسان محمد فتحي، مراتب الهداية في القرآن الكريم، شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة 16-5-2010م، https://www.alukaa.net/sharia/0//21793
23. الحسني إسماعيل، نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، سلسلة الرسائل الجامعية 15، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1416هـ/ 1995م.
24. الخادمي نور الدين مختار ، أبحاث في مقاصد ، مقاصد التشريع الإسلامي، المفهوم . الضرورة . الضوابط، مؤسسة المعارف . بيروت، لبنان، ط2، 1434، 2013.
25. الخالدي صلاح عبد الفتاح، مفاتيح للتعامل مع القرآن الكريم، من كنوز القرآن 1، دار القلم، دمشق، سورية، ط2، 1415هـ/1994م.
26. الرازي زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م،
27. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق: د طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1412هـ / 1992م.

28. الروكي محمد، نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 25، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، المغرب، ط1، 1414هـ/1994م.

29. الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، د.ط.ت.

30. زينب عبد السلام أبو الفضل، واقع الفتاوى المعاصرة في ضوء مقاصد الشريعة، دار الكلمة، المنصورة، القاهرة، مصر، ط1، 1436هـ/2015م.

31. الزين محمد بسام رشدي، المعجم المفهرس لمعاني القرآن، إشراف: محمد عدنان سالم، دار الفكر بيروت لبنان، دمشق سورية، ط1، 1416هـ/1995م.

32. السامرائي محمد إبراهيم والمقدمي صكبان عبد الله، الهداية أهميتها وأنواعها في إسعاد الإنسان، بحث مقدم للمؤتمر القرآني الدولي السنوي، مقدس8، مركز بحوث القرآن الكريم بجامعة الملايا، بالشراكة مع كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم، جامعة أم القرى، 5-6 ربيع الأول 1440هـ، الموافق لـ 14-15 نوفمبر 2018م، كوالالمبور، ماليزيا

33. سانو قطب مصطفى، الاجتهاد في النص في الفكر الأصولي، الجامعة الإسلامية العالمية، كوالالمبور، ماليزيا، ط1، 1434هـ/2013م،

34. سعيدي يحي، التقعيد الفقهي وأثره في الاجتهاد المعاصر، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1431هـ/2010م.

35. الشاطبي أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: عبد الله دراز، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 1433هـ/2013م.

36. شطاب الطيب، دور المصطلح في فهم النص القرآني، نقلا عن موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية،
http://tafsir.net/article/5297/dawr-al-mstlh-fy-fhm-an-ns-s-al-qr-aany

37. صنقور محمد ، الهداية في القرآن الكريم، نقلا عن موقع حوزة الهدى للدراسات الإسلامية، تاريخ الإضافة: 3 نوفمبر 2020م،
https://alhodacenter.com/article/2547

38. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م.

39. طه عابدين وآخرون، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، إعداد الفريق البحثي للموسوعة العالمية للهدايات القرآنية، عمادة البحث العلمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، النبأ العظيم لنشر هدى القرآن،

40. عبد الباقي محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط.ت.

41. العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق : محمود بن التلاميذ الشنقيطي، دار المعارف بيروت، لبنان، د.ط.ت.

42. العضراوي عبد الرحمن، النص الشرعي وبناء مفهوم التأويل، نقلا عن موقع الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، تاريخ النشر 28-2-2017م.
http:/www.arrabita.ma/blog//

43. العلواني طه جابر، التوحيد التزكية العمران، محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، سلسلة قضايا إسلامية معاصرة، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.

44. الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، جواهر القرآن، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ/1986م.

45. الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/

46. الفاسي علال ، مقاصد الشريعة ومكارمها، دار الغرب الإسلامي، ط5، 1993م.

47. الفيروز آبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.

48. قلعجي محمد رواس - قنيبي حامد صادق ، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.

49. كافي أبو بكر، التقصيد الجديد وأثره في قبول الرواية الحديثية وتأويلها، مجلة المعيار، مجلد 25، عدد 57، سنة 2021م.

50. ليفة ميلود، أثر التقعيد المقاصدي والأصولي في تخريج نوازل كورونا، مجلة الإحياء، مجلد 21، عدد 29، أكتوبر 2021م.

51. مكاوي إدريس، مقاصد تفسير النص القرآني، مجلة الدراسات الإسلامية، عدد11، جوان 2018م.

52. منير يوسف، التقعيد المقاصدي للفتوى ، مجلة البحوث والدراسات، ، العدد 24، السنة 14، صيف 2017م.

53. النجار عبد المجيد، فقه التحضر الإسلامي، سلسلة فقه الشهود الحضاري 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.